جهود رفاعة الطهطاوى
فى مجال المعجم الثنائى اللغة

دكتور /عبد المنعم السيد أحمد جدامى
مدرس علوم اللغة
كلية دار العلوم – جامعة المنيا
جمهورية مصر العربية

لعل أكثر ما يتصل بالتجديد هو التلقيح العلمى والثقافى، والذى من خلاله تستجد أشياء وتنقل أُخر، وهذا ما حدث فيما يسمى بداية النهضة الحديثة فى مصر.

إن المعجم أو القاموس حسب استعمال الطهطاوى فى بداية ترجمته لكتاب Depping = دبنج المعنون فى الترجمة بعنوان: "قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر" وفى الأصل الفرنسى تحت عنوان: " A percu historique sur les Moeurs et coutumes des Nations, paris, ١٩٢٦".

قد استعملها (أى كلمة قاموس) بمعنى معجم، كما أن كلمة قاموس وردت أكثر من كلمة معجم، فهو يقول تحت عنوان "سابقة": شرح الكلمات الغريبة التى توجد فى كتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر، مرتبة على حروف المعجم(١)، أما كلمة قاموس، فيستخدمها فى فهرس الكتاب، ويقول "سابقة الكتاب"(٢)، وفيها قاموس صغير"(٣)، وفى الكتاب نفسه يقول: "ولو وضع المترجمون نظير ذلك فى كل كتاب ترجم فى دولة أفندينا ولى النعم الأكرم لأنتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ونظمها فى قاموس مشتمل على سائر الألفاظ المستحدثة التى ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب"(٤)، ويستخدم أيضاً كلمة "قاموس" فى التعريبات الشافية، فيقول: "هى مصرح بها فى القاموس وغيره"(٥) فهو إذا لم يذكر المعجم إلا حينما تكلم عن ترتيب القاموس، ذاكراً أن ترتيبه على حروف المعجم، أما كلمة قاموس فهى المستخدمة أكثر بالدلالة المعجمية المعروفة لدينا.

أغلب المثقفين الناطقين باللغة العربية يستخدمون كلمتى معجم وقاموس[٦] بوصفهما مترادفتين، فإن بعض اللغويين العرب حاولوا الاستفادة من تخصيص هذين المترادفين للتعبير عن ثنائيات مفهومية كثرت من خلال التطور السريع فى البحث اللغوى ، ومن هنا رأى البعض الاستفادة من هاتين اللفظتين للتفريق بين ١- (مجموع المفردات المفترض للغة)، والمفهوم. ٢- (مجموع المفردات المختارة التى يضمها كتاب مع معلومات لغوية أو معرفية عنها)، ومن هنا فقد خصوا المفهوم (١) بلفظ (المعجم) والمفهوم (٢) بلفظ (قاموس). وذهب فريق آخر إلى أن كلمة (معجم) ينبغى أن تطلق على (المخزون المفرداتى الذى يمثل جزءاً من قدرة المتكلم/ المستمع اللغوية) فى مقابل (قاموس) التى تجب أن تطلق على (المجموع المفرداتى فى كتاب)[٧] ، وكان مبدأ الاقتصاد فى اللغة قد شجع بعض المصطلحين على تفضيل المصطلح البسيط المؤلف من لفظ واحد على المصطلح المركب المؤلف من لفظتين أو أكثر. ومن هنا اتجهوا إلى تخصيص لفظ (القاموس) للدلالة على نوع معين من المعاجم هو المعجم الأحادى اللغة، والاحتفاظ بلفظ المعجم للتعبير عن نوع آخر هو المعجم الثنائى اللغة.[٨] إلا أن هناك من يستعمل (معجم) و (قاموس) بمعنيين مختلفين، حيث تستخدم كلمة معجم للدلالة على "المجموع المفترض، أى الموجود بالقوة لا الفعل، واللامحدود من الوحدات المعجمية التى تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها، أو يمكن أن تمتلكها احتمالاً، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة، وهكذا فمعجم مقابل lexique ، ويستعمل كلمة قاموس للتعبير عن كل كتاب يجمع بين دفتيه قائمة تطول أو تقصر من الوحدات المعجمية (المداخل) التى تحقق وجودها بالفعل فى لسان من الألسنة، ويخضعها لترتيب وشرح معينين"[٩]، ونلاحظ مما سبق وجود اختلاف فى دلالة الكلمتين فى استعمال اللغويين العرب"[١٠].

وقد استقر فى البحث اللغوى الغربى على أن المصطلح الإنجليزى Lexicon وبالفرنسية Lexique يدل على "المجموع المفترض واللامحدود من الألفاظ التى تملكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها"[١١]، أما المصطلح الإنجليزى Dictionary وبالفرنسية Dictionaire فيدل على "مجموعة من الألفاظ المختارة المرتبة فى كتاب

ترتيباً معيناً مع معلومات لغوية أو موضوعية"[١٢] كما أن المصطلح الإنجليزى Lecicography يدل على الجانب النظرى، أو مجموعة الأسس النظرية التى تحكم العمل المعجمى، والجانب التطبيقى أو عملية تأليف المعاجم، فهو فن عملى وليس علماً فهو فن كتابة المعاجم، أما Lexicology فهو يتعلق بدراسة المفردات من حيث اشتقاقها ودلالتها [١٣].

ونخلص من هذا إلى أن الطهطاوى قد استخدم كلمة القاموس للدلالة على العمل المعجمى وليس بدعاً فى ذلك فالمعاجم الحديثة فى الأغلب سميت بالقاموس حسب ما ذكر د. وجدى غالى، كما أن العمل المعجمى شهد تطوراً علمياً وتقنياً صاحبه عدد من المفاهيم الجديدة التى استوجب من العرب البحث عن مصطلحات تحمل بكفاءة هذه المفاهيم.

وأحاول فى السطور التالية توضيح الطهطاوى لأهمية المعجم، وكذلك مساهمته فى بناء المعجم الثنائى.

أولاً- أهمية المعجم الثنائى كما صورها الطهطاوى:

يقول الطهطاوى: "شرح الكلمات الغريبة التى توجد فى كتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر مرتبة على حروف المعجم مضبوطة حسب الإمكان ومفسرة على الوجه الأتم، سواء كانت أسماء بلدان أو أشخاص أو أشياء"[١٤] هنا يذكر أنه سوف يقدم شرحاً للكلمات الغريبة التى توجد فى الكتاب المذكور، وسيرتبها على حروف المعجم، "مضبوطة حسب الإمكان" يقصد بذلك تقديمة تهجية صوتية لها، وسوف نوضح ذلك فيما بعد، وقوله "ومفسرة على الوجه الأتم" يعنى يقدم تفسيراً لدلالاتها، ثم يقول: "ولما كانت هذه الألفاظ فى الأغلب أعجمية فلم ترتب إلى الآن فى كتب اللغة العربية وكان يتوقف فهم هذا الكتاب علياه عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب"[١٥].

هنا يزعم أن الألفاظ الأعجمية لم توضع فى معجم مع مقابلاتها فى العربية، ويبين أهمية عمله هذا فى أن هذا الكتاب الذى ترجمه يتوقف فهمه على المعجم الذى صنعه فى

أول الكتاب، وهنا تتضح رؤية الطهطاوى لأهمية المعجم الثنائى حيث يذكر "فلم ترتب إلى الآن فى كتب اللغة العربية"، هذا فى حدود علم الطهطاوى، ففى الحقيقة هذا الزعم الطهطاوى غير صحيح ذلك أن إلياس بقطر المصرى كان صاحب أول قاموس فرنسى عربى كما يزعم ذلك د. جمال الدين الشيال[١٦]، كما أن الشيال يرى أن الطهطاوى أحس بالحاجة إلى معجم فرنسي- عربى قبل غيره، "وأحسها وهو فى فرنسا يتخصص فى الترجمة، ويترجم فى مختلف الفنون"[١٧]، كما أن د. الشيال يذكر أن الطهطاوى "لم يوفق هناك إلا إلى قاموس بقطر فقد ظهرت طبعته الأولى فى باريس بعد وصوله بثلاث سنوات، وقبل عودته إلى مصر بسنتين فلما عاد إلى وطنه وبدأ يراجع بعض الكتب التى ترجمها فى باريس ويعدها للطبع أحس هذا النقص مرة ثانية" [١٨]، وكان الطهطاوى قد عبر فى أول كتاب طبع له فى بولاق بعد عودته سنة ١٢٤٨هـ، فقد ذكر فى مقدمة كتابه هذا (وهو كتاب المعادن النافعة)، أقول ذكر الطهطاوى: "وقد فسرت مفرداته على حسب ما ظهر لى بالفحص التام وما تعاصى منها حفظت لفظه، ورسمته كما يمكن كتابته به، وربما أدخلت بعض تفسيرات لطيفة... والعذر لى إذا زل قدم ترجمتى فى بعض التفاسير، لأن اللغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم"[١٩]، وهنا يبرز عدة احتمالات، الاحتمال الأول أنه عرف قاموس بقطر ولم يعجب به، الثانى: أنه لم يعرفه، والاحتمال الأخير أنه عرفه وأراد أن يصنع معجماً يشفى غليله باعتباره مترجماً، ويبدو – كما يذكر د. الشيال [٢٠]- أن رفاعة كان قد عبر عن شعوره هذا لإبراهيم باشا (أبن محمد على باشا) عند مقابلته له أول وصوله إلى الاسكندرية فبادر إبراهيم باشا وكلفه بوضع هذا القاموس، فقد أشار رفاعة فى هامش ص ٣ من كتابه "المعادن النافعة"، "وقد أمرنى سعادة ولى النعم أفندينا إبراهيم باشا بترجمة قاموس، وعين لى حضرة عثمان بك قاموس أكاديمية، ولكن عاقنى عنه عوايق.. منها أشغال أبى زعبل ومنها أنه يحتاج إلى وضع المترجم فى كتب خانة ويحتاج أيضاً إلى أن يكون معى مساعد فرنساوى، بل هذا الشغل هو شغل نحو عشرة أنفار حتى يكون مستوفياً ، وكذلك مستوعباً للألفاظ الاصطلاحية"[٢١].

ويلاحظ عدة ملاحظات حول نص الطهطاوى السابق:

١- رغبته فى عمل معجم فرنسى – عربى واف.

٢- أحس بأن عملية صنع معجم لابد فيها من توافر أصحاب اللسانين.

٣- تأكد للطهطاوى أن صنع معجم كما تخليه يحتاج لعمل عشرة أشخاص حتى يكون مستوفياً ومستوعباً للمصطلحات.

ولما كانت هذه العقبات كلها أمام تنفيذ فكرة المعجم الثنائى جعلته يحتال على تنفيذها، ورأى أن يضع لكتابه "قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر" قاموساً صغيراً، ويطبعه فى السنة التالية لطبع كتابه "المعادن النافعة، وكان طبعه لكتابه: قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر" سنة ١٢٤٩هـ . والطهطاوى كمترجم وعى قضية بناء معجم ثنائى، وأحس بمشكلات وجود متكافئات، وقبل وجود المتكافئات إيجاد عملية فهم لما قال فى النص الأصلى، ولننظر إلى ما يقوله: "وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب حتى إنه يمكن أن تصير على مدا [٢٢] الأيام دخيلة فى لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية"[٢٣].

هنا نلاحظ أنه يقرر أن فهم الكتاب متوقف على فهم دلالات الكلمات التى وضعها فى ما أسماه قاموساً صغيراً فى أول الكتاب، كذلك يقرر أنه وضع قاعدة لتعريف أو إدخال الكلمات التى لا يجد لها مرادفاً، هذه القاعدة هى التعريف بأسهل ما يمكن التلفظ على وجه التقريب، وهى مبنية على أساسين مهمين يعرفانك بالحس اللغوى الدقيق عند الطهطاوى، ذلك أنه يقرر أن إدخالها يقوم على أسهل طريقة يمكن التلفظ بها، كذلك تقوم هذه العملية على أساس آخر وهو أن عملية التلفظ تكون على وجه التقريب، فمؤكد أنه وعى الاختلافات بين اللغات باعتباره أجاد الفرنسية كلغة ثانية بعد العربية.

فجملة الطهطاوى القائل فيها، "وهى التعريب بأسهل ما يمكن التلفظ على وجه التقريب" موجزة تعبر عن وعى بالقضايا اللغوية الخاصة باقتراض الكلمات من لغة إلى لغة أخرى، والتى من الممكن توضيحها من خلال أحد أهم اللغويين فى دراسة قضية الاقتراض

اللغوى، وهو هوجن E. Haugen، الذى يرى أن الكلمة المقترضة تبدأ بتقليد مباشـــر للنموذج الأجنبى، أى محاكاة للكلمة كما فى لغتها المصدر، لكن ما يلبث أن يصبح هـــذا النموذج داخل اللغة المقترضة مستخدماً من قبل الجماعة اللغوية[٢٤].

وقد استقر فى البحث اللغوى الآن أن عملية الاقتراض اللغوى مشاكلها متشعبة على جوانب ثلاث هى كالآتى:

الجانب الأول:

وهو خاص ببنية اللغة، فكل لغة لها نظامها اللغوى الخاص بها، سواء أكان فى الأصوات أو البنية الصرفية أو البناء النحوى ، وكل لغة لها سماتها الخاصة فى هذه المستويات، وبالتالى عندما يقترض من لغة إلى أخرى نجد الصعوبات لوجود هذه الاختلافات.

الجانب الثانى:

الكتابة، فالكتابة تصوير كتابى للأصوات اللغوية، وكل لغة لها نظامها الكتابى المختلف عن غيرها، حتى ولو كانت أبجدية كل منهما (اللغة المقترضة واللغة المقترض منها) من أصول واحدة، وتزداد الصعوبات إذا ما كانت أبجدية كل منهما مختلفة الأصول كالكتابة الفرنسية والكتابة العربية.

الجانب الثالث:

جانب اجتماعى، حيث إن اقتراض الكلمات يرجع إلى أسباب اجتماعية– لغوية، وعملية الاقتراض ترجع أيضاً إلى نفسية وسلوكيات المجتمع، وتطور ورقى المجتمع فى اللغة المصدر، وغيرها من الأسباب التى تحكم عملية الاقتراض اللغوى[٢٥].

يشير الطهطاوى أيضاً إلى أن الكلمات التى يمر بها بأسهل ما يمكن التلفظ به على وجه التقريب "حتى إنه يمكن أن تصير على مدا الأيام دخيلة فى لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية" ونلاحظ هنا أنه يستخدم مصطلح "دخيلة" ويقصد به الكلمات الأجنبية المقترضة قبل أن تشيع فى العربية، وعندما تشيع فى العربية تصير معربة[٢٦] كما حدث مع الألفاظ ذات الأصول الفارسية واليونانية، والتى صارت معربة

ومتداولة فى اللسان العربى، ونلاحظ هنا أنه يقرر باعتباره صاحب لسانين وجود ظاهرة الاقتراض اللغوى[٢٧].

ثم يصل الطهطاوى إلى لب فكرته التى يتحايل على فعلها، وهى صنع معجم ثنائى اللغة، فرنسى- عربى، حيث يقول: "ولو صنع المترجمون نظير ذلك فى كل كتاب ترجم فى دولة أفندينا ولى النعم الأكرم لا نتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ونظمها فى قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التى ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب أو الترك فإن هذا مما يفيد التسهيل على الطلاب وبه تحصيل الإعانة على فهم كل علم أو كتاب"[٢٨].

وعلى هذا النص نلاحظ الآتى:

١- أنه يرى لو صنع كل مترجم لكل كتاب قاموس يشتمل على غريب الألفاظ المستحدثة لكان صنع المعجم يسيراً.

٢- أنه أحس بالاختلافات الثقافية والحضارية بين العربية والفرنسية فكثير من المفردات ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب.

٣- أضاف اللغة التركية هنا باعتبار أنها كانت أحد المصادر التى كان يعتمد عليها المترجمون فى أخذ مقابل منها، وهذا كان لموقع التركية المميز فى مصر آنذاك، وفى ذلك يشير الفرنسى باسكال كروزيه (P. Crozet) إلى أن اللغة العربية قبل سنة ١٨٣٤م كانت تنافسها فى مصر اللغة التركية فى الاستخدام العلمى [٢٩].

٤- ومن كل هذا نلاحظ أهمية المعجم الثنائى فى رؤية الطهطاوى، وبخاصة للكلمات ذات المدلول الثقافى الخاص التى من الصعب إيجاد متكافئات فى لغة أخرى تحمل المضامين نفسها كما فى اللغة المصدر، وفى ذلك نتذكر ما يقوله الأستاذ إدوارد سابير **E.Sapir** بأن العالم الواقعى كم كبير مبنى بلغة الجماعة[٣٠]، فالطهطاوى يعى أن معجماً كما رآه بهذا الوصف سيكون مدونة للثقافة، والتى يجب أن تكون مقترحة وموضحة ثقافياً فى هذه المدونة، والتى من خلال هذه المدونة نصل إلى وعى وفهم بالثقافة واللغة الثانية فى المعجم.

وبعد أن بينا أهمية المعجم الثنائى فى تصور الطهطاوى ننتقل إلى مساهمته فى صنع المعجم الثنائى.

ثانياً– مساهمة الطهطاوى فى صنع معجم ثنائى:

لابد أن نقدر أن مشكلات صنع معجم ثنائى هى أكبر من صنع المعجم الأحادى اللغة، ذلك أن مشكلات الدلالة مثلاً التى تواجهنا فى المعجمات الثنائية اللغة تختلف عن تلك المشكلات التى تواجهنا فى المعجمات الأحادية اللغة وتفوقها تعقيداً. "لأن المعجمات الأحادية اللغة صنفت لأناس يسهمون فى الحضارة التى يتناولها المعجم ويفهمونها، فى حين أن المعجمات الثنائية اللغة تقوم بوصف لغة هى نتاج حضارة تختلف عن حضارة القارئ بنسبة متفاوتة"(٣١).

وكانت هناك عدة عوائق واجهت الطهطاوى فى إيجاد مقابلات للكلمات الفرنسية فى قواميسه الصغيرة التى وضعها فى بعض الكتب التى ترجمها مثل المعادن النافعة، وقلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر، والتعريبات الشافية لمريد الجغرافية، فأغلبها مصطلحات علمية لأول مرة يواجهها مترجم عربى، وأسماء بلاد غير معروفة للعرب، فاجتهد الرجل، وحاول أن يصل بعمله إلى مستوى جيد فأصاب فى أحيان كثيرة رحمه الله. وسوف أحاول أن أقدم طريقته فى السطور التالية.

يقدم الطهطاوى تعريباً لكلمة (Brazil) قائلاً: "أبريزيله بسكون الموحدة وكسر الراء بعدها مثناة تحتية فزاى مكسورة فلام فتاء تأنيث ويقال أيضاً أبرزيلة وأبرزيل بفتح الراء اسم لسلطنة كبيرة فى القطر الشرقى من أمريكة الجنوبية محكومة بعيلة من بلاد البرتوغال وحاكمها يلقب إمبراطور يعنى سلطاناً أو قيصراً وأهلها المتأصلون بها غير الإفرنج أكثرهم قبائل أرباب شرور وجبر وتوحش عظيم حتى أن منهم من يأكل لحم الأدميين خصوصاً لحم العدو الذى يقبضون عليه فى الحرب"(٣٢).

ويلاحظ هنا أنه يقدم الكلمة الأجنبية بشرح صوتى يغلب عليه الطريقة الأزهرية القديمة(٣٣)، ويشرح الكلمة بنص طويل مشتمل على عدد من الجمل، فيه يقدم الكلمة معربة ومشروحة، شرحاً طويلاً ربما لإحساس الطهطاوى بجهل المتلقى لهذه المسميات،

ولكن لماذا أحجم الطهطاوى وغيره من مترجمى تلك الفترة عن رسم حروف الكلمات بالحروف اللاتينية كما فى لغتها، كما يُفعل الآن، على الرغم من أن مطبعة بولاق منذ أن أنشئت، "بل ومعظم المطابع الأخرى- وخاصة مطبعة سراى رأس التين بالإسكندرية- كانت بها مجموعات للحروف اللاتينية بأشكال وأحجام مختلفة"(٣٤).

ومن هنا فإن المترجمين أهملوا الحروف اللاتينية، وهذا يتضح من كل الأمثلة الموجودة لديهم.

وبالطريقة السابقة نفسها يقدم الطهطاوى كلمة "استقيمو"(١) حيث يقول: "بكسر الهمزة وسكون السين بعدها قاف مكسورة فياء ساكنة فميم مضمومة بعدها واو وربما زيد فيها شين معجمة فقيل إسقيموش قبائل بشمال أمريكة همل مثل أهل لابونيا والسويد ولهم توحش عظيم"(٣٥).

يقدم كلمات جديدة نطقاً ومعرفة، مثلها مثل كلمة "أولمبيقية"(٢) التى يقدمها بهذه الصيغة شارحاً مدلولها بقوله: "بضم الهمزة وسكون الواو وكسر اللام وسكون الميم فباء فارسية مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فقاف مكسورة فياء مشددة فتاء تأنيث نسبة إلى أولمبيا مدينة من مدن المورا كان اليونان يعلنون بقربها كل خمس سنوات لعباً مخصوصاً والمدة المتخللة بين الموسم والآخر تسمى أولمبيادة وكان بالأولمبيادة تؤرخ اليونان سنينهم وتواريخهم فى قديم الزمان وأعظم هذا عندهم رماحة الخيل فمن أظهر من الفرسان البراعة فى هذا الفن فإنه يمتاز بين أقرانه بالشهرة ويختص بخصائص تشريفية يحظى بها دون غيره"(٣٦).

قدم الكلمة بشرح طريقة نطقها، ثم شرح دلالة الكلمة، وأفاض فى توضيح خصوصية الكلمة عند اليونان قديماً.

وكذلك يقدم كلمة "بارومترا"(٣) ، ويشرح مدلولها فى أكثر من خمس صفحات، أحاول أن أنقل جزءاً بسيطاً من كلامه، يقول الطهطاوى: "بفتح الموحدة بعدها ألف فراء مضمومة فواود ساكنة فميم مكسورة بعدها مثناة فوقية ساكنة فراء بعدها ألف آلة تدل على اختلاف ثقل الهواء فهى ميزان تكاثف الهواء المحيط بالكرة الأرضية(٣٧).

الجديد هنا أنه يقدم هنا مدلولات علمية أيضاً، وقد أفاض فى شرح هذا المصطلح فى صفحات، وقد قدم أيضاً مصطلحات فنية من مثل أوبرا، التى عربها وشرحها بقوله: "أوبرا، أوبره = بضم الهمزة وكسر الياء الفارسية التى تقرأ بين الفاء والباء فراء مفتوحة هى أعلا سبكتا كلات فرانسا راجع سبكتاكل وتطلق على نوع مخصوص من الأشعار"(٣٨).

الملاحظ أنه يجد صعوبة فى نقل دلالات الكلمات الفرنسية الخاصة بمجال الفنون، وقد نقلها إلياس بقطر فى معجمه بقوله "ملعب فيه غناء ودق آلات"(٣٩)، والواضح أن المعنى لم يصل من خلال مقابل إلياس، فعدم وجود التجربة الفنية المماثلة جعل الطهطاوى والذى هو بعد إلياس زمنياً ينقل الكلمة فى موضع آخر فى كتابه "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" معربة ومشروحة، يقول الطهطاوى "ففى مدينة باريس خمس وعشرون ملعبة من هذا اللعب أعلاها الملعبة المسماة الأوبرا التى فيها جملة مئات من الآلاتية، وأرباب الغناء والرقص.."(٤٠)، وواضح أن الطهطاوى وضع مقابلاً عربياً أيضاً مع تعريب الكلمة وشرحها وهو ملعبة، والحيرة فى ذلك ترجع إلى أن الكلمة تنتمى إلى تجربة وثقافة مختلفة (٤١).

والشئ نفسه نجده فى ترجمته ومقابلاته للكلمة الفرنسية (Spectacle)، والتى ترجمها وشرح دلالاتها كالآتى: " سبكتاكل = بتثليث السين المهملة وكسر الموحدة وسكون الكاف فمثناة فوقية بعدها ألف فكاف فلام ويقال تياترة بكسر المثناة الفوقية فمثناة تحتية بعدها ألف فمثناة فوقية مكسورة فراء مفتوحة فتاء تأنيث اسم لملعبة ببلاد الإفرنج يلعب فيها تقليد سائر ما وقع، وفى الحقيقة أن هذه الألعاب هى جد فى صورة هزل فإن الإنسان يأخذ منها عبراً عجيبة لما أنه يرى فيها سائر الأعمال الحسنة فيقتفيها، والسيئة فيتحاشاها لما يراه من مدح الطيب وذم الخبيث حتى إن الإفرنج يقولون إنها تهذب أخلاق الإنسان ومع اشتمالها على المزح الممدوح فيها أيضاً كثير من المبكيات والمحزنات وصورة هذه السبكتاكلات عند الإفرنج أنك تجد هيكلاً عظيماً مسقوفاً بقبة وفيه عدة أدوار وكل دور به أروقة موضوعة حول القبة من داخل فى جوانبه الهيكل، وهو منور

بالنجف العظيم وتحت ذلك المقعد محل للآلاتية، وهذا المقعد يتصل برواق فيه سائر آلات اللعب وسائر الأدوات اللازمة للألعاب التى تظهر فى ليلة اللعب ولجميع النساء والرجال المعدين للعب فيهيئون ذلك المقعد على حسب ما يقتضيه اللعب المطلوب منه فإذا أرادوا تقليد سلطان مثلاً فى حكاية سائر ما وقع منه صوروا ذلك المقعد فى شكل سراية بها كرسى وعليه شخص جالس فى شكل السلطان المقلد وقصوا قصته وجعلوه يتكلم ويتكلم معه وهكذا ومدة تجهيز المقعد يرخون الستارة لتحجب المقعد عن أعين الناظرين ثم يرفعون الستارة ويلعبون واللاعبون واللاعبات بهذه الهياكل أشبه بعوالم مصر لا فى الوقاحة فإن أرباب هذه الحرفة عند الإفرنج أرباب أدب وحياء فى مدة لعبهم، وإن كانت اللاعبات فى الغالب غير عفيفات، ومن الغرائب أن كلاً من اللاعب أو اللاعبة يحفظ دواوين الأشعار الإفرنجية والنكات والنوادر بل ومسائل من العلوم البرائية الغريبة حتى أن من رأهم ربما نظمهم فى سلك العلماء لا العوالم"(٤٢).

نلاحظ هنا مساهمته الكبيرة فى الملاحظة القوية أن اختلاف التجربة بين اللغتين حتم عليه شرحاً لما ليس موجوداً وغير مألوف لدينا، ولعل إحساس الطهطاوى بالقضية كان كبيراً عندما قال: "ولا أعرف اسماً عربياً يليق بمعنى السبكتاكل أو التياتر، غير أن لفظ سبكتاكل كل معناه منظر أو منتزه أو نحو ذلك، ولفظ تياتر معناه الأصلى كذلك ثم ما سمى بها اللعب ومحله، ويقرب أن يكون نظيرها أهل اللعب المسمى خيالياً، بل الخيالى نوع منها، وتشتهر عند الترك باسم كمدية، وهذا الاسم قاصر، إلا أن يتوسع فيه، ولا مانع أن تترجم لفظة تياتر أو سبكتاكل بلفظ خيالى، ويتوسع فى معنى هذه الكلمة"(٤٣)، فالطهطاوى أحس بالقضية، قضية عدم وجود تكافؤ بين اللغتين فى هذه النوعية من الكلمات الخاصة بالمجالات الفنية، فقد حاول أن يجد المتكافئ فوجد كلمة خيالى، لكنه رأى أن الخيالى نوع منه، لكن من الممكن التوسع فى معنى الكلمة، وقد عرض الكلمة التركية كمدية، وهى فى الحقيقة ليست تركية وإنما مأخوذة عن اللغات الأوروبية، لكنه يرى أن الاسم قاصر، فمن خلال كل هذه الأمثلة نرى أن ثقافة اللغة المصدر (الفرنسية) ثقافة أكثر تجربة فى هذا المجال من اللغة الهدف (العربية)، نتج عن هذا عدم وجود تكافؤ

فى ذلك أيضاً، ففكرة التمثيل والمسرح كانت غير موجودة لدينا كما عند الفرنسيين آنذاك، مما أوجد هذه المشكلات.

ويلاحظ أن الطهطاوى من خلال الأمثلة السابقة أنه يقدم فى قواميسه الصغيرة — كما سماها- نوعين من المرادفات ١- المرادفات الترجمية، وهى كما لاحظنا يقدم الكلمة سبكتاكل، ثم يقترح ملعبة، وكذلك خيالى ، كمقابل ترجمى، وفى الوقت نفسه يقدم النوع الثانى، وهو ٢- المرادف التفسيرى وهو القيام بشرح مدلول الكلمة بجملة أو جمل لتوضيح دلالاته فى ثقافته المصدر، ومن هنا فهو يقدم النوعين، وإن كان يغلب عليه النوع الثانى وهو المرادف التفسيرى لكنه دائماً يبحث، ويقترح عدداً من المرادفات الترجمية أحياناً، ومثال يؤكد ذلك، وهو وضعه لأكثر من مقابل للكلمة الفرنسية (Presqu'il) التى نقلها بالكمات الآتية "جزيرتين منفصلتين... وإحدى هاتين البحيث جزيرتين"(٤٤)، ويقول أيضاً فى ترجمتها: "الجزاير المتصلة بالأرض المسماة عند الفرنساوية برسكيلة وفى كتابنا بحيث جزيرة، وتسمى بالتركية نيم جزيرة أى نصف جزيرة" (٤٥) وهكذا نجد المقابلات كالآتى:

برسكيلة ← بتعريفها

جزيرة متصلة ← عربى

بحيث جزيرة ← عربى

نيم جزيرة ← وكلمة نيم تركية، ونلاحظ هنا أنه يعتمد على التركية فى المقابلات.

نصف جزيرة ← عربى(٤٦).

وهكذا يقدم الطهطاوى جهداً كبيراً فى اقتراحاته العديدة للمصطلحات الجديدة، والتى لا يتوفر فى العربية المقابل المتكافئ معها، فجهد عظيم قدمه الرجل، وإن عيب عليه أنه أحياناً تتعدد مقابلاته للمقابل الفرنسى الواحد، وكذلك تعدد أشكال المصطلح المعرب عنه فى أحيان، وكذلك نرى عنده فى أكثر الأحيان ذكر المصطلح العربى والصيغة المعربة للمصطلح الأجنبى، وكذلك تفسير له، وطول المصطلح أحياناً، وأحياناً يذكر الشرح فقط

بدون ذكر مصطلح محدد كمقابل، وكل هذا كان نتيجة أنه قابل ثقافة جديدة وعلوماً حديثة ليس للثقافة الهدف معرفة بأكثرها، ومن هنا كان كل هذا منبع المشكلات الموجودة، فجاهد الرجل واجتهد فى وضع المقابلات بعضه قد استقر إلى الآن، وبعضه تغير، والرجل من خلال أعماله هذه كانت أفكاره نواة لمعاجم ثنائية، وترجمات فى مجالات عديدة.

المصادر والمراجع العربية

١- ابن منظور (جمال الدين):لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر- بيروت- لبنان ١٩٩٤م.

٢- د. أحمد مختار عمر (١٩٩٨م): صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب بالقاهرة، طبعة أولى.

٣- إلياس بقطر: معجم فرنسي- عربي، باريس ١٨٢٨ ، ١٨٢٩م .

٤- الجواليقى (أبو منصور): المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم - تحقيق الأستاذ/ أحمد محمد شاكر- مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة- الطبعة الثالثة- ١٩٩٥م.

٥- د/ حجازى (محمود) (١٩٧٧م): الاتجاهات الحديثة فى صناعة المعجمات، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالجزء الأربعين ١٩٧٧ ص ص ٨٦ – ١٠٧.

٦- د. الحمزاوى (محمد رشاد) (١٩٧٩م): الاستعارة اللغوية قديماً وحديثاً- مقال بحوليات الجامعة التونسية، العدد ١٧- ص ص ٥-٢٤.

٧- السيوطى (جلال الدين): المهذب فى ما وقع فى القرآن من المعرب- تحقيق د. إبراهيم محمد أبو سكين - مطبعة الأمانة بالقاهرة- ١٩٨٠م.

٨- الشيال (جمال الدين) (١٩٥١م): تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، دار الفكر العربى.

٩- الطهطاوى (رفاعة رافع): تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز، ملحق بكتاب أ.د محمود حجازى: أصول الفكر العربى عند الطهطاوى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

١٠- التعريبات الشافية لمريد الجغرافية، طبع ١٨٣٥م.

١١- الجغرافية العمومية، ترجمة عن كتاب مالطبرون، طبع بالقاهرة بدون تاريخ.

١٢- قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر، ترجمة لكتاب ديبنج، طبع سنة ١٨٣٣م بالقاهرة.

١٣- المعادن المنافعة، ترجمة لكتاب فرارد، طبع ببولاق (القاهرة) ١٢٤٨هـ.

١٤- فوك (يوهان) (١٩٩٦م): تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة د. عمر لطفى العالم، دارقتيبة، دمشق.

١٥- د. القاسمى (على) (١٩٩١): علم اللغة وصناعة المعجم، مطبعة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

١٦- ـــــــــ (١٩٩٩م): المعجم والقاموس (دراسة تطبيقية فى علم المصطلح) ، مقال منشور بمجلة اللسان العربى، العدد ٤٨ ص ص ٢١ - ٣٣.

١٧- د. ليلى المسعودى (٢٠٠٢م): معجم أو قاموس ؟ قاموس الدبلوماسية (فرنسى - عربى) نموذجاً مقال منشور باللسان العربى، العدد ٥٢، ص ص ٢٦٠ - ٢٧١.

١٨- د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى (٢٠٠٤): المشكلات الثقافية فى معجم إلياس بقطر، بحث منشور بمجلة الألسن للترجمة، العدد الخامس، ص ص ٩٦ - ١٢٦.

١٩- د. محمد حسن عبد العزيز (١٩٩٠م): التعريب فى القديم والحديث، دار الفكر العربى بالقاهرة.

٢٠- د. وجدى رزق غالى (١٩٧١م): المعجمات العربية ببليوجرافية شاملة مشروحة ، القاهرة.

المراجع العربية

- Al-kasimi, Ali, A. 1980: Dictionaries for Translation. In Lisan Al-arabi, vol: 18, Part: 1. pp: 5-22.
- Crozet, p, 1994: “A propos de l’ensignement scientifique Egypt” in Egypte, Monde Arabe, No: 18-19.
- Humbley. J. 1974: “Vers une typologie de l’emprunts linguistique” in Caheirs de lexicologie, vol: 25 , No: 2, pp. 46-70.
- Rey, A, (ed) 1997: Le Robert, Dictionaire historique de la langue Francaise, Zeditions, paris.
- Sapir, E, 1949: Selected writing of Edward sapir, Berkely and Los Anles., pp.160 – 166.

الهوامش

---

(١) قلائد المفاخر ص ٢.

(٢) ربما يكون الطهطاوى أول من ترجم الكلمة الفرنسية "Preface" بـــ "سابقة الكتاب"، قبل أن تترجم بكلمات أخرى فيما بعد.

(٣) قلائد المفاخر ص١.

(٤) السابق ص٢.

(٥) التعريبات الشافية قسم أول ص ٦.

(٦) كلمة معجم مشتقة من مادة (ع ج م)، ومرتبطة بالكلمة العربية أعجم، وتعنى إزالة الغمـــوض، وفى لسان العرب لابن منظور: "الأعجم الذى لا يفصح ولا يبين كلامه"، وفيه أيضاً "رجل أعجمى وأعجم: إذا كان فى لسانه عجمة"، وفيه: "سميت البهيمة عجماء لأنها لا تـــتكلم"، وفيـــه أيضـــاً: "أعجمت الحرف: بينته بوضع النقط السوداء عليه... وأعجم الكتاب: نقطة وأزال استعجامه علـــى سبيل السلب، لأن صيغة (أفعل) الأصل فياه الإثبات، وقد تأتى للسلب". أنظر مادة ع ج م فى لسان

العرب، ويقصد بالمعجم الكتاب الهادف إلى إزالة غموض الدلالة، ويشير د. محمود حجازى إلى أن تاريخ استخدام هذه الكلمة يرجع إلى القرن الثالث الهجرى، فقد جاءت فى عنوان لكتاب "المعجم لأبى يعلى (٢١٠ – ٣٠٧هـ) وقد ترجم فيه أبو يَعْلَى لشيوخه، وترد كتب كثيرة ألفت بعد ذلك تحمل فى عناوينها كلمة "المعجم" وأكثرها من كتب الطبقات المرتبة على حروف المعجم، وأهمها: معجم الصحابة لأبى القاسم البغوى (٢١٤ – ٣١٧هـ)، ومعجم الصحابة لابن قانع (المتوفى ٣٥١هـ)، ثم حدث تحول فى دلالة كلمة معجم حيث تحولت من الدلالة على كتب الطبقات المرتبة على حروف المعجم إلى كتاب الكلمات المرتبة على حروف المعجم، وبهذا المعنى بدأ استخدام الكلمة عند ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فى معجم مقاييس اللغة، وعند العسكرى (ت ٣٩٥هـ) فى : المعجم فى بقية الأشياء، انظر د: حجازى ١٩٧٧ ص ٨٧. أما كلمة قاموس فقد وردت فى لسان العرب والذى يقول فيه ابن منظور: قمس فى الماء يقمس قموساً: انغط ثم ارتفع، وقمسه فانقمس أى غمسة فيه فانغمس، يتعدى ولا يتعدى، والقاموس والقومس: قعر البحر، وفى الحديث الشريف: "قال قولاً بلغ به قاموس البحر" أى قعره. وقيل القاموس معظم ماء البحر أو وسطه. لسان العرب لابن منظور مادة ق م س ، ويشير د. على القاسمى إلى أن التسمية بقاموس فى مجال المعاجم أتت فى نطاق إطلاق نعوت الماء والبحر على التصانيف المعجمية كالعباب والمحيط. أنظر القاسمى ١٩٩٩ ص ٢٣. ويجب أن ننبه إلى أن المعجم مر فى تطوره بمراحل عديدة. حتى بلغ ما هو عليه، ولم يكن يطلق عليه اسم "المعجم" إلا فى مراحل متأخرة، ففى المرحلة الأولى بدأت المعجمية انطلاقها من خلال عناية المسلمين بالقرآن الكريم والحديث الشريف وحرصهم على فهمها، والوقف على غريبهما، ومن هنا جاءت المؤلفات تحت مسمى غريب، غريب القرآن ، وغريب الحديث، وفى المرحلة الثانية أخذ علماء اللغة يشدون الرحال للبادية لجمع المادة المعجمية من مصادرها الأصلية وتدوينها ثم تصنيفها تصنيفاً موضوعياً وإصدارها فى رسائل صغيرة تضم المفردات المتعلقة بخلق الإنسان وخلق الحيوان والنبات، وكانت تلك الرسائل تحمل عنوان (كتاب) مثل (كتاب الخيل) و (كتاب الإبل)، ثم تأتى المرحلة الثالثة بظهور كتاب العين للخليل وكتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦)؛ وهذه المرحلة نجد فيها المؤلفين يفضلون إطلاق اسم علم على معاجمهم مثل (المحيط) و (العباب) و(القاموس) و (المحكم)، ولا نجد كلمة (معجم) فى عناوين إلا فى أواخر القرن الرابع الهجرى. أنظر فى ذلك د. على القاسمى ١٩٩٩ ص ٢٢ – ٢٥. ويشير د. وجدى غالى إلى أن كلمة قاموس استخدمت فى عناوين ٩٨ عملاً

معجمياً = = عربياً وكلها باستثناء القاموس المحيط معاجم حديثة. أما الأعمال التى حملـت فى عناوينها كلمة (معجمى) فعددها ٧٥. انظر د. وجدى غالى ١٩٧١ ص ٢١٧ – ٢١٩ . كما أننـا نشير إلى أن هناك كلمات أخرى أتت فى عناوين أعمال معجمية مثل ترجمان، ودليل، وفرائد، ولغات ولكنها مجرد أسماء لكتب بأعيانها وليست تسمية للنوع كله. انظر د. حجازى ١٩٧٧ ص ٨٧.

(٧) القاسمى ١٩٩٩ ص ٢١.

(٨) السابق ص ٢١.

(٩) السابق ص ٢٦.

(١٠) هناك رؤية جديدة صاحبتها د. ليلى المسعودى ويرمى تصنيفها إلى التفريق بين الأنواع المختلفة للمعاجم، وكذلك إلى التفريق بين المعاجم الأحادية اللغة والمعاجم الثنائية اللغة أو المتعددة اللغـات، وكذلك بين المعاجم التى تشتمل مداخلها على تعريفات والمعاجم المشتملة مداخلها على مقابلات فقط ويعتمد تصنيفها معايير كثيرة هى: طريقة المعالجة وخصائص المفرد وخصـائص المـادة وخصـائص التعريف وعدد اللغات والموقف اللغوى والبعد الزمنى والوظيفة، وبهذه المعايير تخلص إلى تحديد أربعـة أنواع من الأعمال المعجمية هى: القاموس والمعجم والملفظة والملسنة، وقد استخدمت كلمة قـاموس للدلالة على المعجم الأحادى اللغة أو المتعدد اللغات التى يشتمل على تعاريف، بينما استخدمت كلمة معجم للدلالة على المعاجم المتعددة اللغات التى لا تشتمل على تعاريف. انظر د. ليلـى المسـعودى ٢٠٠٢ ص ٢٦٢ – ٢٦٣.

(١١) أنظر د. القاسمى ١٩٩٩ ص ٢٥.

(١٢) أنظر السابق الصفحة نفسها.

(١٣) أنظر د. أحمد مختار عمر ١٩٩٨ ص ٢٠.

(١٤) قلائد المفاخر ص ٢.

(١٥) السابق الصفحة نفسها.

(١٦) أنظر د. الشيال ١٩٥١ ص ١٨٥، وأشير إلى أن معجم بقطر كان قد طبع بعد تكميل وتحقيق وإشراف من المستشرق الفرنسى دوبرسفال، بعد أن مات بقطر وترك أوراق هذا المعجم غير مطبوعة فكمل المعجم وحققه وأشرف على الطباعة دو برسفال، وفى المقدمة يذكر دوبرستال أن هذا المعجم مناصفة بينه وبين بقطر، وطبع هذا المعجم فى جزأين بباريس سـنة ١٨٢٨ و ١٨٢٩م، وفى مقدمـة

المعجم يشير دوبرسفال إلى أن إلياس بقطر عمل مترجماً للجيش الفرنسى فى مصر، وسافر إلى فرنسا بعد أن لبى دعوة الجيش - الفرنسى له، ووصل إلى فرنسا سنة ١٨١٢م، وعمل كمترجم من العربية الفرنسية، وبخاصة للرسائل المتبادلة مع جيش الشرق الفرنسى، وعمله هذا جعله – كما يذكر دوبرسفال- يجمع عدداً من المقابلات والتى كانت نواة لمعجم فرنسى- عربى، كما يذكر دوبرسفال أيضا أن بقطر عين أستاذاً للعربية الدارجة فى المدرسة الملكية للغات الشرقية الحية، وفى سبتمبر سنة ١٨٢١م، توفى فى باريس. انظر حول ترجمته كتاب فول ١٩٩٦م، ومقدمة معجمه التى كتبها دوبرسفال وانظر دراسة تحليلية للمشكلات الثقافية وأثرها فى بناء معجم إلياس بقطر، قمت بها. أنظر د. عبد المنعم السيد ٢٠٠٤.

(١٦) المعادن ص ٣.

(١٨) السابق الصفحة نفسها.

(١٩) السابق الصفحة نفسها.

(٢٠) د. الشيال ١٩٥١ ص ١٨٨.

(٢١) المعادن النافعة ص ٣.

(٢٢) توجد هكذا فى الأصل، ومعروف أن هناك قضايا خاصة بالكتابة فى نصوص بداية النهضة الحديثة فى مصر.

(٢٣) قلائد المفاخر ص ٢.

(٢٤) E Haugen 1972 , P. 105.

(٢٥) J. Humbley 1974, p. 53.

(٢٦) تتعدد المصطلحات الخاصة بالاقتراض اللغوى فى العربية قديماً وحديثاً، فنجد تعريب وأعجمى، ومعرب ودخيل ومحدث ومبتدع ومولد وغيرها قديماً، ونجد فى وقتنا الحاضر مصطلحات الاستعارة اللغوية، كما عند د. الحمزاوى، (أنظر كتابة ١٩٧٩، ص ٥) والاقتراض اللغوى كما عند د. حجازى (١٩٩٣ ص ١٤٨) والمعرب كما فى كتابات المجمعيين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والتعريب كما عند د. محمد حسن عبد العزيز (أنظر كتابه ١٩٩٠).

(٢٧) أنظر الخلاف القائم قديماً حول وجود كلمات مقترضة فى القرآن الكريم فى كتاب المعرب للجواليقى تحقيق الأستاذ/ أحمد محمد شاكر ص ص ٣-٥، وكتاب المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب للسيوطى تحقيق د. أبى سكين ص ص٩ — ١٩.

(٢٨) قلائد المفاخر ص ٢.

(٢٩) P. Crozet 1994, P. 69 – 99.

(٣٠) E. Sapir 1949, P. 162.

(٣١) أنظر القاسمى ١٩٩١م ص٨٩، ومن الجدير بالذكر أن المعجم الثنائى اللغة هو الأقدم وجوداً فى العالم قبل المعجم الأحادى، حيث اكتشف علماء الآثار أن السومريين والأشوريين صنعوا معجماً ثنائياً من اللغتين السومرية والأشورية وهذا كان ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد. أنظر Ali. M. Al. Kasimi, ١٩٨٠, P.٧.

(٣٢) قلائد المفاخر ص ٢.

(٣٣) أنظر د. الشيال ١٩٥١م ص ١٨٩.

(٣٤) السابق ص ٢١٢.

(٣٥) قلائد المفاخر ص ٤.

(٣٦) السابق ص ١٣.

(٣٧) السابق ص ١٦.

(٣٨) السابق ص ٨.

(٣٩) معجم إلياس بقطر مادة Opéra.

(٤٠) تخليص الإبريز ص ٢٥٧.

(٤١) كلمة Opéra ترجع إلى الكلمة الإيطالية Opera بمعنى مؤلف درامى يغنى، ومعنى الكلمة فى الفرنسية مسرحية موسيقية مغناة، أنظر معجم رى التالى. A. Rey(éd) Opéra.

(٤٢) قلائد المفاخر ص ٤٩ — ٥٠.

(٤٣) تخليص الإبريز ص ٢٥٨.

(٤٤) الجغرافية العمومية ج١ ص ٣٥.

(٤٥) التعريبات الشافية، قسم ١ ص ١٠.

(٤٦) المقابل الشائع الآن هو شبه جزيرة.